فهرست النديم

تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد

أ. د. عبدالستار الحلوجي(*)

لم يحظ عمل ببليوجرافى عربى بمثل ما حظى به فهرست النديم من شهرة، ولم يظفر أىٌّ من تلك الأعمال بمثل ما ظفر به الفهرست من دراسات حوله وحول صاحبه. فقد ثار جدل حول مؤلفه وهل هو النديم أم ابن النديم، وتساءل الباحثون عن أسباب إهماله فى كتب التراجم التى ترجمت لمعاصريه، وعما إذا كان قد بيّض كتابه قبل وفاته أم تركه مسوَّدة فيها كثير من النقص والخلل والاضطراب. واختلفوا فى تفسير التواريخ التى وردت فى الكتاب بعد سنة ٣٧٧ هـ التى ذكر المؤلف أكثر من مرة أنها الحدّ الزمنى الذى يتوقف عنده الكتاب.

ولعل أكبر دليل على الاهتمام بالكتاب وانشغال الباحثين به أنه طبع عشر طبعات بدرجات متفاوتة من التحقيق والتدقيق، وترجم إلى الفارسية والإنجليزية، وهو ما لم يحظ به أى عمل من ببليوجرافيات التراث العربى كمفتاح السعادة لطاشكبرى زاده وكشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة.

ولم يأت هذا الاهتمام من فراغ؛ فالكتاب أقدم وثيقة ببليوجرافية عربية وصلتنا كاملة، وفكرته كانت رائدة فى وقتها، وعلى أساسه قام ما عرف - فيما بعد - بعلم الببليوجرافيا قبل أن تعرفه أوروبا بمئات السنين كما يقول بيرسون فى مقالة بعنوان Bibliogrphy فى دائرة المعارف الإسلامية. يضاف إلى ذلك أن الرؤية الببليوجرافية فى الكتاب بلغت درجة عالية من النضج إذا قيست بمقاييس العصر الذى عاش فيه النديم وهو القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى.

ولست أريد أن أتحدث عن الكتاب أو مؤلفه، فقد سبق لى أن تناولت هذا الموضوع منذ بضعة عقود فى دراسة بعنوان: «من تراثنا الببليوجرافى .. ابن النديم وكتابه الفهرست» نشرت فى مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض[1] ثم أعيد نشرها بعد ذلك [2]، ولكنى أريد أن أتحدث عن آخر طبعة صدرت

---

* أستاذ المكتبات والمعلومات، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

(١) العدد السابع، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. ص ٤٦١ - ٤٧٨.

(٢) فى كتاب المخطوطات والتراث العربى، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١، ص ١٤٣ - ١٦٠.

للكتاب، وهى طبعة جديرة بالتقدير والدراسة والتحليل، لا لأنها أحدث الطبعات فحسب[1]، وإنما لأنها أفضلها جميعًا، فقد أتيح لها ما لم يتح لأى طبعة سابقة، فمحققها أحد العلماء المعدودين فى مجال المخطوطات العربية تحقيقًا وفهرسة وتأصيلا وهو الدكتور أيمن فؤاد سيد، وقد أنفق فى إعدادها بضع سنين من العمل المتصل الدءوب. وناشرها مؤسسة علمية لها ثقلها وهو مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى التى أنشأها الشيخ أحمد زكى يمانى فى لندن وجعل على رأس أولوياتها فهرسة المخطوطات، العربية المبعثرة فى شتى أنحاء الأرض، والتعريف بمواطن تلك المخطوطات، ونشر بعض الأعمال التراثية المتميزة التى لم يسبق نشرها أو التى سبق نشرها ولكنها لم تحظ بما تستحقه من عناية ومن ثم فهى تحتاج إلى أن يعاد نشرها نشرًا علميًا دقيقًا.

فهذه الطبعة إذن قد جمعت بين الحسنيين، محقق له قامته المعروفة فى مجال تحقيق المخطوطات، وناشر له سمعته المتميزة بين مؤسسات النشر الحكومية والخاصة.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن هذه الطبعة هى أضخم الطبعات من حيث الحجم، حيث صدرت فى أربعة مجلدات بلغت صفحاتها حوالى ١٨٠٠ صفحة، وأنها أجودها طباعة وإخراجًا، وأنها تضمنت مقدمة وافية بلغت أكثر من مائتى صفحة، ومجموعة من الكشافات شغلت أكثر من أربعمائة صفحة من المجلد الأخير، أدركنا أننا أمام عمل يستحق منا كل اهتمام.

والمقدمة التى كتبها الدكتور أيمن فؤاد للكتاب عمل علمى جدير بالتقدير، فقد عرض فيها لأهمية الكتاب وموضوعه ومؤلفه وترتيب مادته ومصادره ونقول المتأخرين عنه، وتساءل عما إذا كان النديم قد حرر الكتاب أكثر من مرة، كما تحدَّث عن النسخ المخطوطة للكتاب، وعن طبعاته المختلفة مع تقييم كل طبعة. وختم هذه المقدمة بالحديث عن النسخ التى اعتمدها فى هذه الإصدارة وعن طريقة إخراج النص والرموز والاختصارات التى استخدمها.

أما المجلد الأخير فيبدأ بثبت المصادر والمراجع العربية والأجنبية، يلى ذلك مجموعة من الكشافات تبدأ بكشاف رئيس لعناوين الكتب يشغل ما يقرب من ٣٠٠ صفحة، يليه كشاف للأعلام موزعين على فئات: مصنفين ومترجمين وشعراء وغير

(١) صدرت سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

ذلك، وكشاف ثالث للأماكن والبلدان، ورابع للمصطلحات والوظائف والألقاب، وخامس للفرق والقبائل والطوائف والجماعات، وسادس للقوافى، وسابع لمصادر الكتاب، وثامن لخزائن الكتب، وتاسع لهواة جمع الكتب.

ومعلوم أن الكشافات أداة مهمة لتيسير الاستفادة من أى نص، وتصبح ضرورة لازمة فى مثل هذه الأعمال الببليوجرافية الضخمة التى تضم بين دفتيها آلاف الأسماء والعناوين والأماكن.

فإذا تركنا المقدمة والكشافات وانتقلنا إلى صلب الكتاب وجدنا المحقق قد بذل جهدًا هائلا فى تحرير النص، وأضاف إضافات قيمة فى الهوامش تعريفًا وتعليقًا وتوضيحًا لغوامضه، وتخريجًا للنصوص التى نقلها المؤلف عن غيره [١]، وهو عمل لم يسبق إليه أى من الذين تصدوا لنشر الكتاب من قبل، ويجعل أى طبعة تتضاءل أمام هذه الطبعة.

ويمكن إجمال الجوانب الإيجابية لهذه الطبعة فى النقاط التالية:

(١) تصحيح الأخطاء الإملائية والنحوية والمعلوماتية فى كثير من المواضع، والإشارة فى حواشى الصفحات إلى ما ورد فى الأصل. والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى.

(٢) استكمال بعض نواقص النص من المصادر التى نقلت عن النديم[٢]، وإضافة بعض تواريخ الوفاة الناقصة [٣].

(٣) التعليقات والتخريجات التى حفلت بها هوامش كثير من صفحات الكتاب، بعضها تعريف بالأشخاص والأماكن، وبعضها تعريف بالكتب المذكورة فى المتن.

(٤) الإضافات التى استقاها المحقق من مصادر التحقيق، أو التى اقتضاها السياق، وقد وضعها بين العلامتين < >، ومن أمثلتها فى المجلد الأول:

على مذهب أبى على < الجبائى > (ص ٦٢٥)

من أهل < قم > (ص ٦٨٠)

أبو جعفر محمد بن على < ابن بابويه > (ص ٦٨٨)

---

(١) انظر على سبيل المثال: مج ١ ص ٢٠١ - ٢٢٥، مج ٢ ص ٨٣ - ١٢٠.

(٢) كما فى ص ١٥٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٢، ٤٢٢، ٦٠٥ من المجلد الأول.

(٣) كما فى ص ١٦٢، ١٦٣، ٤١٥، ٤١٧، ٤٦٦، ٦٦٣، ٦٦٤ من المجلد الأول.

وفى المجلد الثانى:

< ابن أبى شيبة > (ص٩٨)

وملوك < الفرس > (ص١٣٧)

أو الوفاء < البوزجانى > (ص ٢٠٩، ٢٥٨)

كتاب < الحساب > الهندى (ص ٢٥٥)

(٥) أنه ألزم نفسه بما لا يلزم حين ضبط النص ضبطا كاملا. وتلك مسألة تطلبت منه جهدًا كبيرًا وأرهقته من أمره عسرًا شديدًا. وكان يكفى ضبط أسماء الأشخاص والأماكن والكلمات التى يمكن أن تلتبس على القارئ. ولكنه آثر أن يسلك الطريق الصعب، وأن يقدم لنا نموذجًا متميزًا فى الشكل والمضمون.

(٦) إثبات أرقام صفحات أهم طبعتين للكتاب، وهما طبعة فلوجل وطبعة رضا تجدد، والتمييز بينهما بكتابة صفحات أولاهما بالأرقام الإفرنجية وصفحات الثانية بالأرقام العربية الهندية.

وفى مقابل هذه الجوانب المشرقة، يؤخذ على هذه الطبعة ما يلى:

(١) أن المؤلف قسم كتابه إلى عشر مقالات، وكل مقالة تنقسم بدورها إلى عدد من الفنون يختلف من مقالة لأخرى، ولكن الدكتور أيمن سمى كل مقالة جزءًا، وجعل الكتاب فى مجلدين كل منهما فى جزءين رقَّم صفحاتهما ترقيمًا. فهناك المجلد الأول /١ والمجلد الأول /٢ . وهناك المجلد الثانى /١ والمجلد الثانى /٢ ، وهذا التقسيم مربك عند الإشارة إلى موضع معين فى الكتاب، وكان الأولى والأيسر أن ترقم صفحات الكتاب ترقيمًا متصلاً من أوله إلى آخره، وأن ترقم الأجزاء من ١ إلى ٤ .

(٢) أن الإضافات التى أثبتها نص على مصادر الكثير منها، ولكنه اكتفى فى مواضع أخرى بعبارة: «إضافة من المصادر» دون أن يحدد تلك المصادر[١].

(٣) أنه يثبت ما نقلته المصادر عن النديم فى صلب المتن ويشير إلى ذلك فى الحاشية كما فى ص ٦٠٧، ٦٠٨ من المجلد الأول؛ حيث ينقل مؤلفات الجبائى عن ابن حجر العسقلانى فى «لسان الميزان» وعن الذهبى فى «سير أعلام النبلاء» وعن ابن أنجب فى «الدر الثمين فى أسماء المصنفين»، ويقول عن بشر المريسى (فى ص ٦٠٩):

(١) كما فى ص ٢٢٤ (ط)، ٢٥١ (ط)، ٣٤٧ (a)، ٤٤٩ (a) ، ٥٨٩ (a)، ٦٨١ (a) فى المجلد الأول.

«ذكره النديم وأطنب فى تعظيمه» ويقول عن أبى الحسين الخياط (ص ٦١٠): «قال ابن النديم...» وعند الحديث عن مؤلفات أبى الحسن على بن عيسى الرمانى فى النحو (فى ص ٦٢٣) ينقل عن ابن حجر فى «لسان الميزان» ويقول: «ذكر ابن النديم فى الفهرست». والأَوْلى بمثل هذه النقول أن تذكر فى الحاشية لا أن تضاف فى المتن.

(٤) أنه فى المقالة الرابعة أباح لنفسه أن يعيد ترتيب أسماء الشعراء هجائيًا[١]، وليس من حق المحقق أن يتدخل فى ترتيب مادة الكتاب الذى يحققه. وفى موضع الحديث عن أسماء رواة القبائل وأشعار الشعراء الجاهليين والإسلاميين إلى أول دولة بنى العباس[٢] تراه يقسم الصفحة إلى نهرين (عمودين) خلافًا لبقية الكتاب، ولا يلتزم بتسلسل هذين النهرين فى ترقيم الإشارات المرجعية [٣] .

(٥) برغم وجود كثير من التعليقات والتعقيبات المفيدة التى أثرت العمل، وبرغم التعريف بكثير من الأعلام والأماكن والألفاظ الغامضة، إلا أنه ما زالت هناك ألفاظ تحتاج إلى شرح وبيان، ومن أمثلتها فى المجلد الأول: الخرفاج ص ١٩، العلجة ص١٣٤، الكواميخ ص١٦٦، المراطزات ص٤٦٧، الهملاج ص٥٨٧ .

وفى المجلد الثانى: المحافرة ص٢٤، عفطى ص ١٤٩، ١٩٨، ٣٧٨، الغضار ص٣٥٤، الزهومات ص ٤٠٨ .

يضاف إلى ذلك أن التعريف باللفظ ينبغى أن يكون عند وروده لأول مرة. وهذه القاعدة لم تَطَّرِد فى الكتاب بكل أسف. ومثال ذلك: أن «الفص» عرّف به فى هامش ص٢٧٤ من المجلد الثانى مع أن اللفظ ورد قبل ذلك مرارًا[٤]. والشىء نفسه حدث فى ص ٤٢٤ حيث ورد لفظ «البُدّ» و« البددة» وتكررا ، ولم يرد التعريف بهما إلا فى هامش ص ٤٢٨ .

(٦) أن صناعة الكشافات فن له أصوله وقواعده. وهى قواعد لم يلتزم بها المحقق؛ فجاء بعض الكشافات نشازا، فالكشاف الخاص بأسماء الكتب التى رآها النديم (ص٩٢٣ - ٩٢٧ من المجلد الثانى) كان يجب أن تكون المداخل فيه بأسماء الكتب نفسها. أما أن ترد المداخل على النحو التالى:

---

(١) مج ١، ص ٥٣١ - ٥٣٨.

(٢) مج ١، ص ٤٨٦، ٤٨٨ - ٤٩٢، ٥٠٦ - ٥٤٠.

(٣) انظر على سبيل المثال ص ٥٣٢ - ٥٤٠.

(٤) انظر ص ١٦٦ على سبيل المثال. فقد تكرر فيها اللفظ ثلاث مرات.

- رأيت الدستور بخط المرثدى
- رأيت المسودة بخطه
- رأيت منه شيئًا يسيرًا
- رأيت منه قطعة

فذلك أمر غير مقبول.

والكشاف الخاص بخطوط العلماء التى وقف عليها النديم (ص ٩٢٧ - ٩٣٠) كان ينبغى أن تكون المداخل فيه بأسماء هؤلاء العلماء، أما أن تكون على النحو التالى:

- قرأت بخط فلان
- مرغوب فى خطه
- مليح الخط
- كان يوصف بحسن الخط
- ينسخ فى بيت الحكمة

فتلك بدعة من التكشيف لا تفيد المتعامل مع الكتاب.

وقُل مثل هذا عن الكشاف الخاص بالرجال الذين التقاهم النديم (ص٩٣١) فقد كان ينبغى أن تكون المداخل فيه بأسماء هؤلاء الرجال. أما أن ترد على النحو التالى:

- آخر من رأيناه ممن يلعب بالحقة
- بقية من رأينا من الكتّاب
- جاءنا من بعلبك سنة
- شاهدته فرأيته بارعًا

فهذا ما لا يجيزه أى متخصص فى التكشيف.

والشىء نفسه يقال عن كشافات الوراقين (ص٩٣٢)، وخزائن الكتب (ص٩٣٢ - ٩٣٣)، وهواة جمع الكتب (ص ٩٣٣). فقد ورد فى كشاف الوراقين:

- كان وَرَّاقا يبيع الكتب
- كان يكتب المصاحف بأجرة
- الورّاقون الذين يكتبون المصاحف

وورد فى كشاف خزائن الكتب:

- رأيت أنا جزءًا من خزائن المأمون
- رأيتها وقلبتها فرأيت عجبًا
- كان منقطعًا إلى خزائن الحكمة

وورد فى كشاف هواة جمع الكتب:

- جَمَّاعة للكتب
- كانت له خزانة حسنة
- لم تشاهد خزانة للكتب أحسن من خزانته
- من الأدباء الظرفاء
- وحُمِلت كتبه إلى بغداد

وهذه كلها تضرب بأصول التكشيف عُرض الحائط، ولا تقدم أى خدمة لمن يستخدم الكتاب أو يبحث عن اسم من الأسماء التى تاهت فى ثنايا نصوص لا لزوم لها.

(٧) أن المحقق نهج طريقة كان يستخدمها المستشرقون فى نشر الكتب العربية فى القرن التاسع عشر، وذلك بتمييز بعض الكلمات بوضع خطوط أعلاها أو أسفلها، فوضع خطوطًا فوق أسماء مؤلفى المصادر التى رجع إليها النديم، وخطوطًا أسفل العبارات التى تحدث فيها النديم بصيغة المتكلم لأنها كما يقول: «تمثل شهادات له، كرأيه فى بعض الكتب أو رؤية لها أو ذكر أفراد اتصل بهم» [1] وذلك تزيُّد لا مبرر له.

وإذا وضعنا حسنات هذه الطبعة فى كفة والمآخذ التى يمكن أن تؤخذ عليها فى كفة، فلا شك أن كفة الحسنات ستكون هى الراجحة؛ ولهذا فمن حق الدكتور أيمن فؤاد أن نحييه على هذا الإنجاز العلمى المتميز، ومن حق مؤسسة الفرقان أن نتوجه إليها وإلى مؤسسها الشيخ أحمد زكى يمانى بالثناء الجميل على حسن اختيارها للكتاب والمحقق معا، وعلى جهودها المشكورة فى خدمة تراثنا العربى.

(١) مج ١، ص ١٦٦.